

مجمع الأمثال

2092 - صَارَتِ الْفَتَيَانُ حُمَمًا .

هذا من قول الحمراء بنت ضمرة بن جابر وذلك أن بني تميم قتلوا سعد بن هند أبا عمرو بن عبد الملك فذّر عمرو ليقتلنَّ بأخيه مائةً من بني تميم فجمع أهل مملكته فصار إليهم فبلغهم الخبر فتفرقوا في نواحي بلادهم فأتى دارهم فلم يجد إلا عجوزاً كبيرة وهي الحمراء بنت ضمرة فلما نظر إليها وإلى حُمُرَها قال لها : إني لأحسبك أعجمية فقالت لا والذي أسأله أن يخفّضَ جذاعَكَ ويهدِّبَ عِمادَكَ ويصمّعَ ورسادَكَ ويسلبك بلادك ما أنا بأعجمية قال : فمن أنت ؟ قال : أنا بنت ضمرة بن جابر ساد معدّاً كابر عن كابر وأنا أخت ضمرة بن ضمرة قال : فمن زوجك ؟ قالت : هَوْدَة بن جَرُول قال : وأين هو الآن ؟ أما تعرفين مكانه ؟ قالت : هذه كلمة أحقق لو كنت أعلم مكانه حال بينك وبينني قال : وأي رجل هو ؟ قالت : هذه أحقق من الأولى أعَنّ هَوْدَة يُسأل ؟ هو واللّه طيب العِرْقُ سمين العِرْقُ لا ينام ليلة يَخَاف ولا يشبع ليلة يُضَاف يأكل ما وجدَ ولا يَسأل عما فَقد فقال [ص 395] مرو : أما واللّه لولا أني أخاف أن تَلِدِي مثلَ أبيك وأخيك وزوجك لاستبقيتك فقالت : وأنت واللّه لا تقتل إلا نساءً أعلّوها تُدِيّ وأسافلها دُمِيّ واللّه ما أدركت ثأراً ولا مَحَوّت عاراً وما مَنّ فعلت هذه به بغافلٍ عنك ومع اليوم غد فأمر بإحراقها فلما نظرت إلى النار قالت : ألا فتى مكانَ عَجُوزٍ ؟ فذهبت مثلاً ثم مكثت ساعة فلم يَفْدِهَا أحدٌ فقالت : هيهات صارت الفتیان حُمَمًا ولبت عمرو عامّة يومه لا يقدر على أحد حتى إذا كان في آخر النهار أقبل راكبٌ يسمى عماراً توضع به راحلته حتى أناخ إليه فقال له عمرو : مَنّ أنت قال أنا رجل من البِـرَاجِم ؟ قال : فما جاء بك إلينا ؟ قال : سطع الدخان وكنت قد طَوَيْتَ (طوى - بوزن رضى - جاع) .

منذ أيام فطننته طعاماً فقال عمرو : إن الشقيّ وافدُ البراجم فذهبت مثلاً وأمر به فألقى في النار فقال بعضهم : ما بلغنا أنه أصاب من بني تميم غيره وإنما أحرق النساء والصبيان وفي ذلك يقول جرير :

وأخزاكمُ عمرو كما قد خَزِيتُمُ ... وأدركَ عَمَّاراً شقيّ البِـرَاجِمِ .
ولذلك عيرت بنو تميم بحب الطعام لما لقي هذا الرجل قال الشاعر :
إذا ما مَاتَ مَيِّتٌ من تميم ... فَسَرَّكَ أن يعيشَ فجِيعَ بزاد .
بخبزٍ أو بلحمٍ أو بتمرٍ ... أو الشيء الملافَّ في البِـرَاجَادِ .
تراه ينقِّبُ الآفاقَ حَوّلاً ... ليأكُلَ رأسَ لقمانَ بَنِ عَادِ

